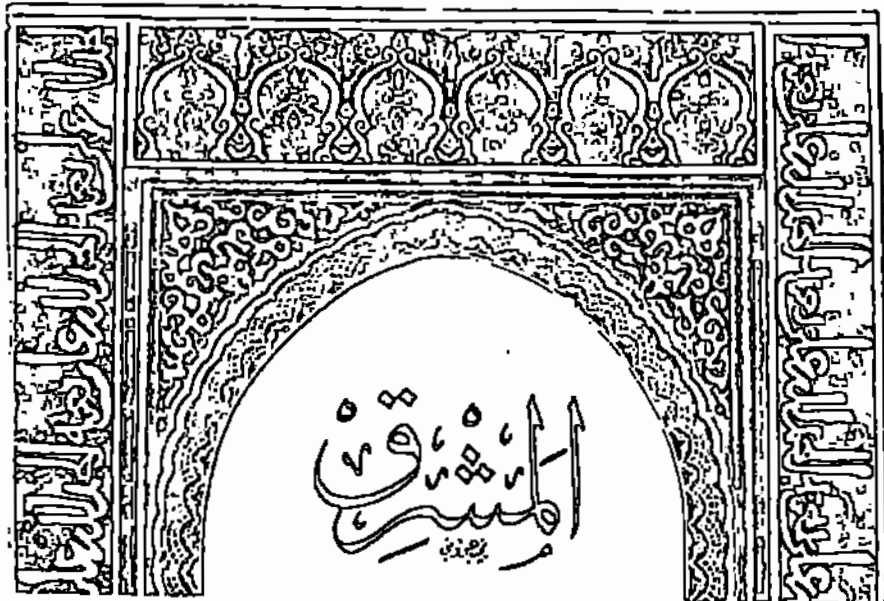




كانون الاول ١٩٢٩

السيد فريديانو جيانيني

بقلم الحوري بطرس غالب

يفتخر «الشرق» هذه الفرصة السعيدة بمرور ربع قرن على ترقية صاحب النياحة * السيد فريديانو جيانيني * الى المقام الاسقي ، وعلى توليه شؤون التعداد الرسولية في سورية . فيقدم لنيافته تهانئ البشوية العالقة متمنية له حياة عديدة يفتن فيها في خدمة الدين والوطن ! وينشر «م الشكر» النبذة التالية التي وضعها * بهذه المناسبة * حضرة الحوري بطرس غالب .

تحتفل الطوائف بأسرها في هذه السنة بمرور خمس وعشرين سنة على ترقية السيد فريديانو جيانيني الى المقام الاسقي ، وتعيينه نائباً رسولياً على حلب ، وقاصداً رسولياً في سورية . ولا بدع ان التف حول شخصه الاثيل عظماء رجال الدين والدنيا تحيط بهم جماهير المعجبين بصفاته السامية وفضائله وفضله وحنكته وحكمته ، وقد برهن عنها كلها في مدار قصافته ، فانالته ثقة الاحبار الاعاظم الذين توالوا على كرسي بطرس ، على اختلاف خططهم ، وتباين الطرق التي سلكوها الى غاية الكنيسة الابدية . والحق يقال انه حادث نادر الوقوع ان يبقى متولياً مدة ربع قرن مهنة خطيرة كالتصادة الرسولية وجلّ فرد اجتازت في

ايامه البلاد المشرقية ازمة عصية ، تتالى فيها الانقلاب العثماني ، ثم الحرب الكبرى ، ثم الانتداب الفرنسي ؛ واختلف فيها مستلمو زمام الامور الدينية والمدنية ؛ ففرف ان يحافظ كل المحافظة على ما اوتمن عليه ، ويوافق بين ضرورات وظيفته ومقتضيات الاحوال ؛ لا يرمي الى تنفيذ فكرته الخاصة بل الى خدمة الكنيسة والدين مضجاً بكل شيء ، حتى بمواطفه ، تنفيذاً لما يتلقاه من الاوامر ، ويستدعيه قضا المصلحة الموكولة اليه من المرونة والعزم والمنحة المقررة بالشدة .

دعني هذه الاعتبار الى وضع هذه النبذة ليقف الجميع على حياة صاحب اليوبيل . ألا اني ما استطعت ألا بالجد والعناء ، ان استرق منه ، ومن بعض المقرئين اليه ، بعض التفاصيل التي أوردتها كما علمتها من مصادر موثوقة بها ، وقد استمت كثيرأ برسائله الرعائية التي اصبح يضرب المثل بلاعقتها وصدق لمجتها .

١

مناً فريديانو جيانيني ودعوه الرهبانية الفرنسبية

ابصر النور اسكانيو جيانيني في بلدة بوزانو ، من اعمال ابرشية لوكا في ايطالية ، في ١٦ حزيران ١٨٦١ . فعني ابواه الفاضلان بتربيته تربية مسيحية حقة ، وبذلا جهدهما لتعليمه وتهذيبه . ولما ترعرع سلماه الى معلم مدرسة البلدة ليلقنه مبادئ اللغة . تقدم في دروسه الابتدائية فلحظ فيه كاهن من اقاربه ميلاً الى الحياة الاكليريكية ، لما بدا منه من التقوى والرغبة في خدمة الهيكل ومن توقد الذهن ، فدرسه مبادئ اللغة اللاتينية ؛ وما عم ان دخل مدرسة الرهبان الفرنسيين الرسولية في بلدة جيا كرنير ، من اعمال توسكانا . شر هناك بصوت الله يدعوه الى الكمال ، فاعتنق الحالة الرهبانية تحت لواء القديس فرنسيس الاسيزي . وبعد انقضاء سنة التجربة لفظ نذوره الاولى في شهر آب سنة ١٨٧٢ واتخذ اسم فريديانو .

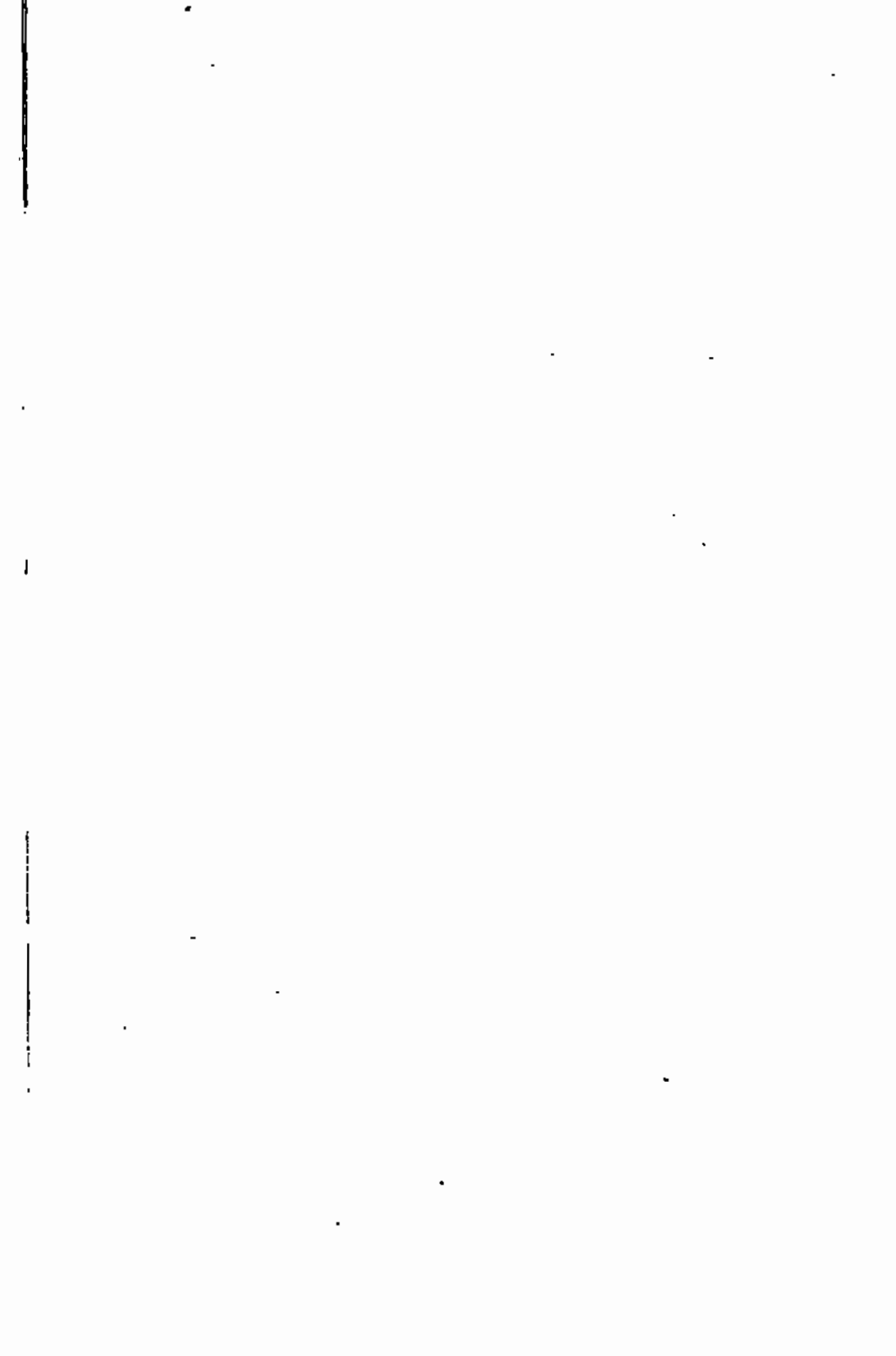
وصف هو نفسه حالته الروحية يوم ترهب ، في رسالة شائقة اذاعها سنة



صاحب النياقة

السيد فريدانو جيانيني

مخاطبة يويله النقي



١٩٢١ قال :

« اتنا منذ دعينا في حداثتنا الى الحياة الرهبانية تحت لواء القديس فرنسيس الاسيزي كنّا نكره التدخل في امور السياسة البشرية المحضة التي لا ترمي ألا الى غم الحريات الزمنية ، وما زال هذا الكره يشتد فينا لاسيما فيما يختص بالسناس الدنيئة التي ان هي سوى عراك متواصل بين المنافع الذاتية المختلفة ، البعيدة عن المصلحة العامة. »

تلك خطة السيد جيانيني لا يزال ماثراً عليها ، وهي التي جعلته يترفع عن السياسات البشرية ويتمسك بالحق اينا وجسده ، ويجوز المسالك الصعبة بهارة اكسبته اعتبار رؤسائه ، وعززت تقمهم به . لانه كان ولا يزال ينظر الى مصلحة الكنيسة غير عابئ بما سوى ذلك من الشئون .

نذر نذوره فأرسل الى دير بوسكوأي فراقي ، من اقليم فلورنسة ، وهو الدير الذي قبل فيه القديس بوناونتورا قبة الكرادلة في سالف الاوان . وهناك اكب على درس الفلسفة فنبغ فيها . ثم عكف على علم اللاهوت ، فنال المدحة من اساتذته ، وشهادة المأذونية سنة ١٨٨٣ . ثم سم كاهناً في ٢١ ك ١ من السنة نفسها ، وعين مدرساً للفلسفة فقام بهذه الخدمة حتى سنة ١٨٩٤ . ثم كلف تعليم اللاهوت الادبي والحق القانوني ، مدة سنتين ، فنال لقب استاذ عام للفلسفة واللاهوت ، وهو لقب يوازي رتبة الملقنة .

٢

الوظائف التي بظت .

ولمّا تحقّق رؤساؤه ما هي قدرته وحنكته وتمنّته في القوانين ودقته في حفظها انتدبوه في سنة ١٨٩٥ لوظيفة معاون رئيس الاقليم ، ثم عينوه في سنة ١٨٩٦ رئيساً لدير سيانة الممد للدارسين فأثقل عاتقه بوظيفتين هامتين : الرئاسة ، وتعليم اللاهوت الادبي . لكن الرؤساء ما لبثوا ان اراحوه من التعليم . وفي سنة ١٨٩٨ سُمّي رئيساً اقليمياً فوق الوظيفة حقها من العناية ، وزار الاديار مرشداً مصلحاً مغزياً منشطاً . وبعد سنتين استدعي بوقياً الى رومية الضمى ،

حيث أقيمت على منكبها وظيفة حارس الاراضي المقدسة . فانتقاد لأوامر رؤسائه رغم مياه الى البقاء . في وطنه ، حيث كان قد نال منزلة عالية في القلوب ونفوذاً عظيماً في النفوس يجلبها الى الخير بوعظه ودقة ارشاده . ومشهور عنه انه خطيب مصقع يجمع بين سمو المعاني وبلاغة الاسلوب ، يجيد الايطالية واللاتينية ، وقد درس على نفسه اللغة الفرنسية فاصبح يكتبها دون مساعد كما تشهد رسالاته الاخيراتان .

وكان كهنة الرعايا يتنازعونه ليعظ في كنائسهم ، وقد دعاه مطارنة ايطالية انفسهم في مدن عديدة لالقاء الخطب الدينية في خلات حافلة ، وله التآبين القيمة التي نشرت على حدة مع بعض عظاته .

سافر الاب فريديانو جيانيني الى فلسطين ، متوكلاً على الله تعالى . وحال وصوله باشر بنشاط لا يعرف الملل ترميم الكنائس والاديرة او بناءها : منها كنيسة عمواس الجميلة ، التي بنيت حيث تجلّى السيد المسيح للرسولين فعرّاه لادن كسره الحُزْبُ . وقد كرّس تلك الكنيسة الكردينال فرأري رئيس اساقفة ميلانو ، صاحب المشاريع الكاثوليكية العظيمة ، المتطلي باسمي الفضائل الكهنوتية . وكان للاب جيانيني منزلة ممتازة في قلبه لانه خير فضيلته وعلو ومقدرته . ومنها كنيسة «جلد يسوع» في دار القضاة الروماني في القدس ، وكنائس اخرى واديرة عديدة غيرها ذكرنا .

وكان اهتمامه بالروحانيات والادبيات اشد منه بالماديات ، فبذل عناية كلية بالرعايا المسلة الى آباء الاراضي المقدسة وسعى في ترقيةها ، ودافع عن حقوق الكاثوليك في القدس . ومشهور عنه انه بجنكه وقوة حجته فاز في منازعات اثارها المتعدون على حقوق محافظة الاراضي المقدسة في سنة ١٩٠٢ ، واستدعت تقاريره تدخل الحكومة الفرنسية .

ولم تكن اشغاله العديدة لتعده عن المطالعة والتأليف ، ودليلنا انه نشر درساً انتقادياً في تعليم المدرسة الفرنسية التي تباهي بانتمائها الى القديس بوناونتورا ودونس سكوت ، وصنّف غير ذلك من الكتب التي نالت شهرة بعيدة في عالم الادب .

٣

قصائد

ان اعمال الاب جيانيني الدالة على مزاياه الفريدة وجهت اليه انظار السيد
الذكر البابا بيوس العاشر فاختره خلفاً للشئث الرحمت السيد كارلوس دوغال
الدومينيكاني ، القاصد الرسولي في سورية ، الذي كان قد رقد بالرب مخلفاً
ذكراً طيباً واثراً بمدوناً . وفي ١٥ ك ٢ من السنة ١٩٠٥ عينه الحبر الاعظم
رئيس اساقفة سراس شرقاً ، وقائماً رسولياً للحب ، وقاصداً رسولياً في سورية .
وكانت قصادة سورية تمتد آنذاك حتى عرش مصر .

وقبل الراسمة الاسقفية في اليوم الخامس من شهر آذار ، واستلم مهام
وظيفته في اليوم الاول من نيسان للسنة نفسها واخذ حالاً يدرس احوال البلاد ،
ويتعرف الى رؤساء الطوائف الكاثوليكية ، ويهتم بانجاز ما كان بشره
سلفه من الاعمال ، ومنها الاثر الفريد المقام باتفاق البطريركية المارونية
والقصادة الرسولية اكراماً للسيدة العذراء على مرتفع حريصا ، بين بكركي
وحريصا ، يقوم حوله اديار لسائر الطوائف الكاثوليكية ، قدامه فريضة جونية
البديعة وامامه ينسبط البحر سهلاً فيحاً ازرق .

وقد أطلق على السيدة العذراء لقب « سيدة لبنان » اشارة الى تقليدها هذا
اجل المبارك المعروف بتمبته لها منذ القدم ، واصبح هذا المزار محج كل من
نال نعمة من جود العذراء ، والتس منها شفاعة ، سواء كان من المؤمنين
او من غيرهم . ولا ريب في ان العذراء المجيدة قد باركت مساعي القاصد
الجديد والمسته تلك الافكار الرائعة التي افرغها طيلة خمس وعشرين سنة في
قالب رسائله البديع .

واذ كان من واجبات الاسقف ان يعلم ويشر قبل اي عمل سواء استهل
السيد جيانيني رسائله بمحض ابنته على اتقان درس التعليم المسيحي ، كما كان
قد سبق وأمر البابا بيوس العاشر في منشوره البليغ الى الكنيسة جماعاً ،

واردته في السنة التالية برسالة الح فيها على المؤمنين ان يتقدموا بتواتر من المناولة التي فيها حياة النفوس وقوتها . ثم تواتر رسائله على مدار السنين في المواضيع الخلاصية المختلفة ، وستقول كلمة عنها في آخر هذا المقال .

اما خطة السيد جيانيني قاصداً فلم تختلف عنها حين كان راهباً ورئيساً قال : « لو لم يكن للياسة اختلاط بمصالح الدين وآداب الشعب المسلم الينا لاعتزلناها تماماً بكل طيبة خاطر . لكن الامر ليس كذلك لان المصالح المشتركة عديدة... لذا نحن هنا لخدمة الجميع من ايّ طقس او طائفة كانوا ، ولاسيا ان مصلحة النفوس مرتبطة بالمصلحة العامة ارتباطاً . »

فتميّزاً لهذه الخطة جعل مصلحة الكنيسة والكروسي الرسولي اساساً ، وسائر الشؤون وسائط لتعززها . فدافع عن حقوق الاكليروس ، وبسط حقيقة تعليم الكنيسة بهذا الصدد قال : « ولا يعني كلامنا (عن التدخل بالياسة) انه يجب علينا ان نخضع لاوامر بعض السياسين الذين يريدون ان يمحسروا الاكليروس ، ولاسيا رؤسائه الاعلى ، ضمن جدران الكنائس والموافه محظون عليهم الاهتمام بالمصلحة العامة ؛ بل نهتم بالياسة بالقدر اللازم للمحافظة على حقوق الكنيسة والضاير وصونها من كل تعدٍ واستبداد . »

وقد اعرب عن افكاره هذه في رسالته عن الانقلاب الذي حدث في تركيا سنة ١٩٠٨ ، فاعاد نشر تعاليم السيد المذكور البابا لاون الثالث عشر في شكل الحكومات وهو ان حظ الكنيسة ليس مرتبطاً باي نظام حكومي كان وهي لا تشجب الا كل حكومة تعبت بالدين والآداب ، ثم تمنى ان يكون العهد الجديد عهد حرية حقيقية ورفي صحيح . غير ان نشاط الماسونية للقبض على ناصية الحكم حمله على تحذير ابنائه ، بل البلاد جمعا ، من مقبة تسلط تلك الشيعة التي تسمى في الظلام الى ذلك أس الاديان والسلطات . وفي كلمتا الرسالتين قواعد امامتها الحكمة رغب صاحب النياقة الى رجال الاكليروس ان يتقيدوا بها ليحفظوا بتمزتهم وينفذهم للخير العام الاسمي .

جرت مذابح الارمن في ولاية اطنة فذهب القاصد الرسولي الى تلك الولاية وبذل جهده ليخفف ويلات الارمن المنكودي الحظ ؛ فلم يتوفّق ، كما اعترف

هو نفسه ، بل اضطرّ ان يكفّي بتغذية المصابين ، وتوزيع التبرعات التي جادت بها النفوس المحسنة ولاسيما الكرسي الرسولي . وكان في تلك الايام والياً على اطنه جمال باشا السقّاح الذي نال في ما بعد شهرة مفجعة بجوره وتوحشه ، في اثناء الحرب الكبرى . فبدت منه في ذلك الوقت اعمال ذلك على ما تسلط على نفسه العاشة من الاهواء والميل الى سفك الدماء .

وفي سنة ١٩١٣ زار صاحب النياقة الاساكل البحرية ، على الشواطىء السورية ، حيث توجد كنائس لاتينية . فاقبلته من ثغر الى آخر الدارعة الفرنسية « هنري الرابع » ، واحتفل باستقباله في كل مكان اي احتفال . وحيث لم يكن مبدد كان اللاتين وسواهم يصعدون الى متن الدارعة ، فيحضرون القداس الذي يقيمه السيد جيانيني ثم يمنح الاحداث التثبيت . وكان رؤبان الدارعة وضباطها يتبادرون في توفير اسباب الراحة لضيغهم العالي الشأن .

اشتعلت نيران الحرب الكبرى بعد سنة فبدأ ولاية الامور يتعاملون على ممثل الكرسي الرسولي . لكنهم لم يظهروا تماماً ما كانت تكنه افئدتهم اللئيمة ، الا بعد ان دخلت ايطالية في الحرب الى جانب دول الائتلاف .

اصدر قائد الفيلق الرابع ، جمال باشا المذكور آنفاً اوامره بان يُكره القاصد الرسولي على ترك مقره في حريصا ، وينفادر البلاد . على انه عدل عن ذلك بناء على تدخلات فعالة اظهرت للاتراك سوء مقبة اعمالهم . اما جمال باشا وعزمي بك فعاملا السيد جيانيني بكل جفاء ، وكانوا ، اذا قدم لهما عريضة ، ضربا بها عرض الحائط . ثم بثا حوله الارصاد فكان رجال التحري يرقبون حركاته وسكناته ويكيّدون له المكاييد ليقوموا فيها لانه كان يوزع المساعدات التي ترده من الكرسي الرسولي ، ويوصل الاموال التي كان يبعث بها المهاجرون الى ذويهم .

جاء الاتراك كل حد في تصرفهم ، فاتوا الى مقر القصادة الرسولية في بيروت ، وتزعروا الشمار الباسبوري من على باب دار القصادة ، وباشروا وضع الاختام على الغرف . ولولا تدخل من لا يؤدّ قضاؤه لكان التعامل بلغ اقصى الشدة . عندئذ سعى السيد جيانيني ان يسافر الى الاستانة . فقال

الرخصة بذلك . وفي سنة ١٩١٥ ركب القطار الى عاصمة السلطنة العثمانية ، وهناك عرض واقع الحال لأولي الامر ، فامرت بتوقيف كل عمل مجحف بمقولة القاصد وحقوقه . وقد تسنى له بعد ذلك ان يرفع تقاريره وشكاويه الى المراجع العليا ، وبناء على تدخل الكرسي الرسولي ، اخذت الوزارة تتعاطى مع صاحب النياقة معاطاتها مع اترابه . ألا ان جمالاً كان يتمتع من التجاء القاصد الى الاستانة فينتقم لنفسه بتوقيف تنفيذ الاوامر الصادرة اليه اماً الرسائل المختومة والبرقيات المغلفة ، التي كان ينفذها السيد جيانيني الى الكرسي الروماني المقدس ، فكانت تسير عن طريق قنصلية ايطالية قبل دخولها في الحرب ، ثم عن طريق قنصلية النمسة . وكانت كل من هاتين القنصليتين ترسلها الى سفارتها في الاستانة ، وهذه تسلمها بدورها للسيد دولتشي النائب الرسولي فيها .

وبهذه الطريقة اتيج للقاصد الرسولي ان يوقف الكرسي الرسولي على احوال هذه البلاد ، وما ألم بها من نكبات ، ويلتس مساعدته وتوسطه لتخفيفها عن عاتق الاهلين . وبهذه الطريقة ايضاً تمكن من ان يعلم الخبر الاعظم بواسطة السيد دولتشي عما كان يضربه جمال باشا من العداء لصاحب القبطة السيد البطريوك الماروني . فانه ما درى بغزم السفاح على ابعاد البطريوك الماروني وحاشيته ، في ٢٠ تموز سنة ١٩١٢ ، حتى ابرق الى السيد دولتشي يرجو منه ان يجبر رومية بذلك . وكانت تقاريره تتوالى في هذا الشأن . واما السيد دولتشي فكانت مغابراته متواصلة مع الصدر الاعظم في مسألة ابعاد السيد البطريوك . ونظراً للخطر المدهم لم ينتظر تعليقات رومية ، بل ذهب تراً الى الباب العالي وخطب الوزير باسم الخبر الاعظم ثم عرض الامر للكرسي الرسولي فلجابه موافقاً على عمله . وقد نال السيد دولتشي التأكيدات اللازمة بان البطريوك لن يُبعد . ولما علم صاحب النياقة بزوال هذا الخطر ذهب الى صوفر ورغب الى صاحب القبطة ألا ينقاد إلا للقوة والعنف . ثم تجددت المساعي ، بعد ايام ، لانتاع البطريوك بالذهاب الى زحلة فلم يرض ، فسبح له جمال باشا اذ ذاك بالمجيء الى قرنة شهبان . وفي ٢٢ تشرين الاول رخص له بالرجوع الى

بكركي . وبعد مدة ذهب السيد جيانيني لتهنئة غبطته بجهاته . فاعرب غبطته عن شكره الحميم للحبر الاعظم الذي اعتنى به تلك العناية . ومما نذكره لصاحب النياقة في ذلك الوقت المصيب اتحاذيه على عاتقه الاباحة لرئيس الرهبانية اللبنانية العام ان يرهن املاك الرهبانية ، لقاء مليون فرنك ذهباً ترسل اليه من فرنسا ، لمساعدة اللبنانيين .

استلمت اخيراً تركية للحلفاء ، ودخلت جيوشهم سورية ولبنان . فاخذت تدس السانس ضد الانتداب الفرنسي ، واتت لجنة اميركية تستطلع رأي الاهلين في امر الدولة التي يرغبون في انتدابها . فكان لصاحب النياقة موقف لا يسع اللبنانيين الا تقديره لانه اعرب عن افكارهم ، وأيدها ببراهين لا مرد عليها . وكان قبلاً قد دس صاحب القبطة السيد البطريرك الماروني لتجشم مشاق السفر الى باريس ، ليدافع ، بحجته القوية وبما له من الخدم تجاه فرنسا والبلاد وبقوة تفويض اللبنانيين عموماً له ، عن حقوق لبنان بالاستقلال بمحدوده الجغرافية الطبيعية والتاريخية ، والتس من صاحب القداسة البابا بنديكطوس الخامس عشر ان يدع يده القديرة لتحقيق رغائب اللبنانيين . فلم ينس اللبنانيون ذلك ، وقد اغتنمت حكومتهم فرصة يوبيله ، فقررت اهداءه وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الاولى « لانه في احوال حرجية ودقيقة تمكن من حفظ الصلات بين رومية والطوائف المختلفة على اتم ما يرام وخدمها جميعها في اثنا الحرب خدمات جليلة » . وكان يمكن ان يزداد انه سعى في سبيل لبنان سعياً مشكوراً .

اماً الدولة الفرنسية وممثلوها فاعربوا عن تقديرهم مزايا القاعد الرسولي . فاهدوا اليه وسام جوقة الشرف من رتبة كومندور ، وكتب اليه ميسو هريو نفسه ، لما كان رئيساً للوزارة الفرنسية ، كتاباً ملؤه الثناء والشكر .

وربما صدر ذي النياقة ايضاً وسام القديسين موديس ولازار الايطالي ، ووسام ايزابل الاسباني ، وكلاهما من رتبة كومندور .

وما تقلص ظل الاتراك ووسخت قدم الدولة الفرنسية حتى استأنف صاحب النياقة تمليه الخلاصي في رسائله الممتازة ، فبأن منافع العهد الجديد الذي

افتتح في ظلّ فرنسا ، ذات التقاليد الشريفة العريقة في القدم . على انه لم يغفل تحذير ابنائه ثمّاً قد يمكن حدوثه من الاضرار للنفوس ، اذا هم تهاملوا في صيانتها من هجمات التعاليم والمطبوعات الكفرية والحلالية . ثم قال انه لا يطلب حقّ الافضاية للكنيسة في بلاد تعددت فيها الاديان والمذاهب ، ولا يريد ان يحتمر الكاثوليك من لا يشاطرونهم عقائدهم ، لكنه يطالب بحجة الكنيسة الثابتة ، ويتمنى ان تستمر علاقاتها حسنة مع السلطة المدنية . ثمّ حثّ الكاثوليكين ، بل ذوي الارادة الصالحة من كل طائفة ، ان يؤثروا عصابات اجتماعية تجمل رائدها الخير العام .

اما البابا السعيد الذكر بنديكوس الخامس عشر فكان يعطف على ممثله كل العطف ؛ لانه رأى فيه غيرته على خدمة الكرسي الرسولي لا تعرف الملل وقد جاءت تقاريره التي كان يرسلها الى المجمع المقدس ذي الاختصاص مستوفية شروط البلاغة والدقة شاملةً محكمة ، وكانت ولا تزال نموذجاً لما يائنها . وقد تنازل قداسه وظهر بعلامة حسنة انه يقدر جهود ممثله حقّ قدرها فاهدى اليه رسمة الكريم ، وخط عليه بيده الطاهرة هذه العبارة : « اننا نمنح من صميم القواد البركة الرسولية للاخ المحترم فريديانو رئيس اساقفة سراس ، دلالة على عطفنا وعربوناً لتلك النعم التي نرغبها له مكافأةً للخدمات التي اداها للكنيسة . »

وكان بيوس العاشر من قبله انعم على السيد جيانيني بصليب صدي ثمين تقديراً لاعماله .

وفي سنة ١٩٢١ زار الاعتاب الرسولية فشمله الحبر الاعظم بالتفاتته الخاص ، ثم اتى لورد بجمية الزوار الايطاليين الذين كان يقودهم صاحب النياقة الكردينال اشيل راتي ، الذي رفعته ثقة امراء الكنيسة بزيائاه الفريدة الى مقام الحوية العظمى ، وذلك بعد خمسة اشهر لزيارة سيدة لورد . *

ولمّا عاد الى مقام قصادته راعه ما شاهد من هجمات الماسونية على الدين بحجة اصلاح البلاد وتسويد التفاهم بين عناصرها . وكان قد بدأ ابناؤا الارملة حملتهم بالظن برجال الدين كمادتهم ليطوا من كرامتهم في اعين الشعب ، ويققدوهم

تأثيرهم . وكان صاحب القبطة السيد البطريرك الماروني قد شجب تلك الحملات المنكرة ، فاخذ مديروها يتحاملون عليه ، وبصردونه غير ما هو حقيقة . فحبطت مساعيهم ، ولم ينالوا من كرامته ، فحذا حذوه صاحب النيافة حالاً واصدر رسالة جاءت آية في بابها من صحة التطعيم وحكمة النصائح ، وابان ما هو التساهل الحقيقي الذي يقوم بالتسامح مع الاشخاص بل باحترامهم متى كانوا ذوي نية حسنة سليمة ، لكنه لا يسلم بنقض حرف واحد من تعليم الكنيسة ، اكراماً للغير واسترضاء له . وفي تلك الرسالة مديح موجه الى السيد البطريرك تقتطف منه ما يلي : «لذا نخني الرأس اجلاً لك يا زعيم الطائفة المارونية الكريمة الاعلى ، ايها البطريرك المعظم الياس بطرس الحويك الرفيع المقام ، لانك بعين حكمتك ابصرت الخطر المحقق بآبائناك ، وبذراع قوية وثابتة ازحت عنه الحجاب . فالى حسناتك العديدة التي اكسبتك قلوب بنيك ، وحيبتك الى اهالي لبنان الكبير على اختلاف نزعاتهم الذين طالب بحقوقهم وناضت عنها امام مجلس جمعية الامم الملتئم لعقد الصلح ، والذين لا تزال بكل حق ممثلهم والمدافع عنهم ، الى حسناتك نستطيع ان نضيف حسنة اخرى عظيمة القدر الا وهي كشفك النقاب دون خوف ولا وجل بجراءة كلية عن مكاييد الماسونية ومطامعها الوبيئة في رسالة اتت في وقتها . ونحن واقفون ان التاريخ سيقر قول حقارتنا . . فليتل الله بركاته ونعمه عليك ، يا صاحب القبطة ، ويرفقن مسامحك سنين عديدة ، وليتم لك ابناء يليقون بك يتسكون بتقائدهم تمكناً غير منغصم ، يطيعونك ويمجرونك ويفدونك بارواحهم .»

وهنا مجال للقول ان العلاقات بين صاحب القبطة والسيد القاصد الرسولي كانت ، ولا تزال ، وثيقة المرى . وقد اعرب السيد البطريرك عن عواطفه نحو ممثل الحبل الاعظم مرات عديدة ، اذ ردد على سامع الكثيرين ان وجود السيد جيانيني في هذه الاحوال الصعبة هو نعمة من الله تعالى وانه لم يأت البلاد قاصد مثله . وقد ارتاح غبطته الى ان يجعل عمل لجنة اليوبيل تحت رعايته كسائر البطارقة الاجلاء .

ومعلوم موقف صاحب النيافة بجانب البطريكية المارونية يوم اعرب ذرو الشأن عن فكركم بتوحيد التعليم والمدرسة وجعلها لاديين في جميع انحاء لبنان ، وفي احوال غيرها خطيرة لا مجال لذكرها الآن .

ولم تكن الصداقة بين السيد القاصد الرسولي وسائر اصحاب القبطة مقتصرة على المجاملات ، بل كانت عبارة عن احترام متبادل وتعاون اكيد لمصلحة الكنيسة . ومما لا ريب فيه ان السيد جيانيني يرغب اشد الرغبة في ان تسود الثقة المتبادلة العلاقات التي بينه وبين الجميع وخصوصاً السادة الاساقفة ورجال الاكليروس ، ساعياً احقق السمي لتحقيق نيّات الكرسي الرسولي في سبيل تعزيز المصالح الدينية والآداب الكنسية ورفع منار الطوائف الكاثوليكية .

ولم ينحصر اعتبار القاصد الرسولي ببناء الكنيسة الكاثوليكية ، بل جاوزهم الى غيرهم من سائر الطوائف حتى غير المؤمنين . فان فريقاً كبيراً من اعيانهم ووجوههم يفاخرون بصداقة القاصد الرسولي ، وقد اظهروا ذلك بانواع مختلفة ؛ ويبرهن الدروز خاصة عن احترامهم صاحب النيافة ، فانهم في الجولتين اللتين جالها في الشوف ، قد اشتركوا مع النصارى في المهرجانات التي اقيمت تكريماً للزائر الكريم ، وامتازت دار اسرة جنبلاط في المختارة بما اجرته من الاحتفالات يوم زارها السيد جيانيني .

واما اهالي راشيا وجنوبي لبنان فقد اعربوا للقاصد عن شكرهم الحميم لاهتمامه بشؤونهم ، ولفته انظار الجبر الاعظم الى حالتهم .

ولا يجهل احد ان الحكومة اللبنانية استشارت القصادة الرسولية في شكل الحكومة الذي يوافق لبنان .

هذا كله يدل على ان اللبنانيين اعتبروه حقيقة من المخلصين لوطنهم الذي اصبح له وطناً ثانياً ، مذ ارسل اليه ، وقد صرح بذلك اكثر من مرة . ولنا برهان آخر على صدق قوله عنايته بتطويب الاخوة المساكين ، والحاحه على الجبر الاعظم باستجابة طلب البطريك الماروني واساقفته . ثم الجهود التي صرفها وما زال يصرفها في قضية عبيد الله ، ابنا الرهبانية البلدية

المارونية ، الابوين نعمة الله الحرديني وشربل مخلوف بقاع كفرا ، والراهبة
وققا الرئيس ، من حملايا .

نعم انه بصفته رئيساً للزيارة الرسولية على الرهبانيات المارونية كان ملتزماً
نوعاً بان يُعنى بامر عبيد الله هؤلاء ، لكن ما ابداه من الاندفاع في هذا
السبيل لجدير بكل ثناء وشكر .

قلت ان مجمع شؤون الكنائس الشرقية قد عينه رئيساً للزيارة المولفة
من السيدن الجليلين اغوسطين البستاني ، مطران صيدا ، وبطرس الفخري ،
النائب البطريكي ، المارونيين . وقد كان عهد بها الى السيد البطريك
الماروني ، لكن وفرة اشغال البطريكية حالت دون مواصلة البطريك اعمال
الزيارة مع القاصد الرسولي . فاخذ صاحب النيابة يدرس احوال الرهبانية مع
الزائرين الرسولين عن كتب ، ويتجراها ليتسكن من ان يعرض للمجمع المقدس
طرق اصلاح ناجعة للخلل الذي قد يكون تسرب الى الرهبانيات . ثم عهد الى
بعض ابناء الرهبانية انفسهم ان يبدوا آراءهم في هذا الشأن ، مع بيان الاسباب
التي يسندونها اليها . وبعد ان تدبرها الزائرون ارسلوها الى رومية ، ثم ما لبثوا
ان ائتمروا بطلب اعادة المجامع العامة مع بعض تعديل في طرق الانتخاب ،
فحصها المجمع المقدس وقرّر مؤخراً ان يستأنف عقد المجامع ، واطلقت
للرهبان حريةهم بان يختاروا على مسؤوليتهم الرجال الكفاء لادارة شؤونهم .
ويشهد جميعهم برفع رئيس الزيارة واعضائها عن المآرب الشخصية ، وبملاحظتهم
خير الرهبانية العام .

غير ان الرجل على قدر ما تتوافر حسناته وتتجلى صفاته تكثر المعاصي
للخط من قدره . وفي ذلك عناية ربانية ترمي الى اظهار فضل صاحب الفضل ،
والى حملة على ان ينسب الى الله لا اليه ما ميّزه به تعالى من الصفات الفريدة .
ففي اثناء الزيارة الاولى حملت جريدة « المناظر » عليها حملات شعواء ، ثم
ما لبث صاحبها ان عرف خطاه وغير اعتقاده ، وفي اوقات مختلفة قامت
قيامه بعض الجرائد الفرنسية والعربية ، وحاولت ان تنال من كرامة القاصد
الرسولي ناسبة اليه اعمالاً لم تدر في خلده . فتوالت الاحتجاجات على هذه

الاختلاقات ، واخيراً كم السيد البطريك الماروني افواه المتشدقين برسالة انفذها الى صاحب النيافة اعرب فيها عن استقباحه هذه الحملات والدافعين اليها ، ونادى بفضل السيد جيانيني وخدماته له وللإساقفة وللطائفة المارونية ، وخصوصاً في اثناء الحرب الكونية ، وشكره على ذلك راجياً ان لا يصبأ بكل هذه الاقاويل . فكان لكتاب صاحب القبطة اثر جليل في النفوس قضى به على الحملة المدبرة ضد القاصد الرسولي والزبارة الرسولية .

ولما وقف المجمع المقدس على هذه الاحوال كتب الى السيد جيانيني كتاباً مؤرخاً في ٢٢ ايار سنة ١٩٢٨ جاء فيه ما تعريبه : « ان الكرسي الرسولي يعلم حق العلم ما هي الخدمات الجليلة التي اديتها لسورية ، والمعاونة الحكيمة التي قت بها للاب الاقدس ، ولا سيما لهذا المجمع المقدس وهي معاونة كان يجب ان تضرع عاطفة الشكر الحميم في قلوب جميع رجال الاكليروس والعلمايين الكاثوليكين في ذلك القطر . . . ولا يجب بل لا يمكن ان تكون هذه المن داعياً لقلق فكرك من اي وجه كان . »

وقد تلقى القاصد الرسولي من المقامات العالية عبارات الاحترام والتعلق بشخصه الكريم واستهجان العمل الذي يرمي الى الخط من كرامته . فتعزى قلبه وتجلت مثله في الصدور .

ورغم انهماكه بالاعمال الموكولة اليه ، نظر في ترميم دار القصادة في حريصا ، فبنى الطابق العلوي فيها ، والرواق المطل على البحر ، وغرس امامها اشجار الارز فنت وبست اغصانها حتى صارت جنة فيحاء واحاط الحديقة بسور ، وهو لا يزال يواصل الاصلاح والترميم حتى يجعل الدار لائقة بساكنيها .

وقد انشأ مدرسة للفتيات في حريصا ، وسلم ادارتها الى راهبات قلبي يسوع وسميم الاقدس ، ما دامت جميعتهم قائمة . فاصبحت زاهرة زاهية تتلقى الفتيات فيها مبادئ الدين والآداب والعلم .

ولا مجال لذكر الحفلات التي ترأسها صاحب النياحة في مدار ربع قرن كالمحاضرات المدرسية ، وتدشين معهد الطب الفرنسي ، والمستشفى الفرنسي ، ومصح مجنس ، ومباركة معبد سيدة لبنان ، حيث اقام السيد البطريك

الماروني القداس الاول واستراكة في
 وفي القامة حيث كُرس كنيسة . . . الآباء الثومسيين .
 والاجتماع الفخم الذي عقد في كنيسة يسوع المسيح لاجل مساعدة جياح
 روسية ، الى غير ذلك مما لا يمكن ذكره في عجلة .
 ولما تراكمت الاشغال عليه اقترح ان تُفصل فلسطين عن قصادة سورية
 وتلحق بقصادة مصر المنشأة حديثاً ، ولأسيا ان فلسطين أصبحت تحت انتداب
 الانكليز المتسيطرين على مصر . فاستحسن الجميع القُدس هذا الاقتراح ، وفي
 السنة الماضية جرى هذا الفصل عن قصادة سورية ، والالحاق بقصادة مصر .

٤

رسالة الزعامة

بقي علينا ان نقول كلمة في المواضيع التي تناولتها رسائل السيد جيانيني
 الرعائية . اذا قرأنا بامعان رأيتها متناسقة مترابطة ، يتدفق منها التعليم تدفق
 المياه العذبة من ينابيعها ، وهو تعليم سديد حكيم أفرغ في قالب بليغ يقنع
 العقل ويستميل القلب الى الموافقة بين التعليم والسلوك .
 في رسالته الاولى اسهب في ضرورة التقيد بأوامر الحبر الاعظم ، والانكباب
 على درس اصول الديانة المسيحية ، طبقاً لما فرضه السيد المسيح ، واوضحه
 ييوس العاشر في رسالته العامة موجباً على خُدْمة النفوس ان يهتموا الالهام
 الجدي بكسر خبز التعليم المسيحي للناشئة المسيحية . التعليم اساس ، لكنه
 لا يكفي وحده ليَجعل الزَمن قوياً في محاربة اعداء خلاصه وفي السير سيراً
 مرضياً لله ، بل يتعم عليه ان يحيا بحياة المسيح ، وهذا لا يتم الا بتغذية
 النفس بمجد يسوع ودمه . فلماذا خصص صاحب النياقة رسالته الثانية بالمناولة
 المتواترة ، التي دعا اليها الحبر الاعظم عموم المؤمنين مبنياً شروطها ومنافعها
 كيلا يخذع السذج بفطرات البعض المخالفة لتعليم الكنيسة ورغبة السيد
 المسيح .

وفي سنة ١٩٠٨ حدث الانقلاب العظيم في تركيا وقادى المصلحون بالحرة

والاخاء والمساواة . فبادر الراعي الساهر على رعيته الى اثاره سبلها ، حتى لا تستفهم مظاهر خلابة قد تحدث اضراراً جسيمة ، ان جهل المؤمنون ما هي القواعد التي رسنها الكنيسة في مثل هذه الاحوال . وهو لم ينكر ان في الانقلاب الذي حصل تقدماً وبارق امل بالاصلاح ، ولكنه ذكر الجميع بتعاليم لاون الثالث عشر في شكل الحكومات وموقف الكنيسة تجاهها ، وقال ان ما يهسه هو ان يتيسر له السعي لخير النفوس كما هو مصمم النية ، وانه لا يلتفت للامور الزمنية الا على قدر ما يكون لها من تأثير في الشؤون الروحية . ثم اختط للاكليروس خطة رغب اليهم ان يسلكوها ، وهي ان يعملوا خير النفوس فوق كل منفعة وحزب ومأرب شخصي .

ثم اردف هذه الرسالة برسالة اخرى عن الخبر الاعظم ومقره في الكنيسة وواجبات الكاثوليكى نحوه وضرورة الانقياد لما يرسه . ولما كان مستقبل الكنيسة متوقفاً على تربية الاحداث تربية مسيحية حقة ، تناول الموضوع في رسالته الخامسة ، فدل على الطرق الثلاثة التي يجب على الوالدين سلوكها توصلاً الى الغاية المنشودة : اولها المثل الصالح ، وثانيها التعليم ، وثالثها الاصلاح والتأديب . وتلك واجبات يلتزم بها الوالدون شخصياً قبل كل احد ، فليتعاظوها بعزم وحكمة ؛ وليحذروا من تسليم اولادهم الى الخدم ليعتروا بهم او للمدارس اللادينية التي تقتل فيهم العواطف الدينية .

ولم يفت الراعي الصالح ان ادوا عديده تهديد الهيئة الاجتماعية بعد ان اصبح الفساد حراً ، فلفت انظار ابنائه بل جميع المؤمنين الى الدعاية الموجهة ضد النصرانية ، دعاية دبرها ابناؤ الاملة زاعمين انه في بلاد تعددت فيها الاديان لا سبيل للمساواة والعدل الا بنسب كل ديانة ونكران وجود الله تعالى ، ليتاوى الجميع في الاخاد ، فينى عليه اساس جماعة بشرية جديدة قابلة للبرقي والتقدم . بين السيد جيانيني سنده هذه التعاليم ، وقوض اركانها ، ثم ما لبث ان اعاد الكرة في رسالته التالية في الدين والملائية ، فابان للسلا ، ما في كلمة « الملائية » من الزيادة ، لان الملائية كما يفهمها ذووها ليست سوى الكفر المستتر ، ترمي الى اغفال ذكر الله تعالى ، وتناهض الدين زاعمة انه

مناقض للعلم . فزيف اقوال هؤلاء المتشدين ، واوضح في رسالة اخرى واجبات الكاثوليكى الصادق المفروض عليه ان يخدم الله قاماً ، وليس له ان يكون تلة لله وتلة للعالم ومبادئه .

ثم تناول في رسالة اخرى موضوعاً اوجت به اليه المهاجرة اللبنانية ، وهو محبة المال المفرطة ، التي تحمل هذا العدد العديد من اللبنانيين الى ترك الاوطان سعيًا وراء ربح يكلف طالبه مشقات جسيمة ومخالفات للشرائع الالهية والوضعية ؛ فنشد المؤمنين ان يكفوا بما هو لائق لميشتهم لئلا يندفعوا الى ارتكاب المعاصي في سبيل الكسب الحيس ، وذكرهم انه من المستحيل ان يعبد الانسان ربين : الله والمال .

ولما كانت الصحف لا تزال تطنطن بحجة الفكر ، رأى من المفيد بسط تعلم الكنيسة والفلسفة في الموضوع حتى يقنع المنخدعين بتلك الدعاية الكاذبة . وابان انه لامر مستحيل تحقيق حرية الفكر كما يرتأون ، لان هناك حواجز وحدوداً لا يمكن الحرية ان تتخطاها . ففي النظام الادبي شرائع زاجرة رادعة ، وللنظام الطبيعي قوانين ، لا سبيل الى مخالفتها ، فهي قاهرة لا يستطيع احد ان يغيرها وفي النظام العقلي حقائق لا يمكن ان تدركها العقول . تلك الرسالة كانت الاخيرة قبل الحرب التي اوجبت على السيد جيانيني ان يكرر قلمه الى ان انتهت تلك المأساة المفجعة . وما وضعت الحرب اوزارها حتى استأنف عمل التبشير بالكلمة ، فماد يدعو المؤمنين الى اطاعة الكنيسة ويعلمهم ان قد وضعت مجلة للحق القانوني العام ادخل فيها تحويرات ملائمة للظروف ، وقد اذاعها واوجب العمل بموجبها البابا بنديكطوس الخامس عشر ، بعد ان وقف على تنظيمها وتبويبها نخبة من ائمة القانون رثها الكردينال بطرس غباري المشهود له بطول الباع في العلوم القانونية ، عدا مقدراته في ادارة شؤون الكنيسة الكاثوليكية باشراف الخبر الاعظم .

ولا عجب ان استرعى العهد الجديد ، الذي تألّت نوره بدخول الحلفاء ارض سورية ولبنان ، خاطر القاصد الرسولي وحمله على تكرير ارشاداته السابقة حتى يستدرك الاخطار المحتمل وقوعها . بين حنات الدولة الفرنسية ،

التي لا تزال تحلف على اصدقائها القداماء ، وان اوجب عليها تغيير الاحوال
 الوقوف موقف الحكم بين الشارب المختلفة ، ثم حذر المؤمنين من الوقوع في
 جائل الذين يستفيدون من الحرية لترويج الاضاليل والفساد . وتأيداً لقوله
 خصص رسالة بكاملها لحسنات الكثلكة في النظامين المدني والاجتماعي ليقنع
 المتشككين بان الكنيسة الكاثوليكية بتنظيمها الحرية قد أدت للبشرية خدمات
 جليلة لا يستطيع غيرها ان يؤديها . وذلك لانها جعلت للحياة معنى وشريفة
 بتوجيهها الافكار الى وطن. يسو الاوطان الارضية ، وسئت قانونا ما هو
 الا شريعة الحياة الدنيا الموصلة الى الحياة الاخرى . تلك حقائق اوضحها
 وبرهن عن ثبوتها في رسالة بليغة . وقد ادعى كثيرون انهم القابضون على سر
 السعادة والسلام في الكون الذين هم مفتاحه ، فا كان من القاصد الرسولي الا ان
 بين ضلال هؤلاء المتخذهين ، مثبتاً ان في وحدة الكنيسة السلام الحقيقي ، تلك
 موهبة لم يُنفع بها غير الكنيسة الكاثوليكية وحدها . شعر الخارجون عنها
 بقوتها المتأقية من وحدة السلطة فيها فارادوا ان يتشبهوا بها وان يوحّدوا
 الكنائس المسيحية الاخرى فلم يتوقفوا الى ذلك بل ذهبت مساعيهم ادراج
 الرياح ، لان الصلح والاتفاق لا يبان بتضحية الحقيقة على مذابح الاغراض ،
 وان حنة ، وكل ما هنالك من جهود لا يؤدي الى الغاية المنشودة لان الحقيقة
 واحدة ، وهي وديعة في ذمة الكنيسة التي اقامها السيد المسيح حافظة على
 التعليم الصحيح وكلفها الدعاية للسلام الحقيقي الذي بشر به الملائكة ساعة
 ولد ابن الله حسب الجسد . فمبثاً يحاول الناس ان يجمعوا فكرة السلام ما
 داموا بعيدين عن السيد المسيح ومملكته . ولا يعني ذلك انه ينبغي للكنيسة
 ان قكره الناس بالقوة على الانقياد لتعليم الانجيل ، بل ان تمنهم باعمالها
 وتبشيرها وحنانها وفضلها لينضموا اليها ، فينالوا السلام والخلاص . وهي مع
 تمسكها التمسك الكلي بالوديعة المسلمة اليها ، لا تفتأ تسعى لولوج القلوب
 قبل القول بمحبتها وتساؤلها مع الاشخاص مراعية ضعف الطبيعة البشرية وما
 يؤثر فيها من الظروف . ان الكنيسة نور لكنها محبة ايضاً ؛ ترسل اشعتها
 لتضيء مسالك البشر بعد ان تكون محبتها اضرمت القلوب واجتذبتها . تلك

حقيقة لمسهب في ايضاحها صاحب النياقة في رسالته السابعة عشرة التي عنوانها :
 «نور ومحبة» وهو شاعر القاصد الاسقفي . تجلت هذه الحقائق في القديسين الذين
 لموا في سماء الكنيسة المقدسة ، وكانوا ابناؤها لانها ارضعتهم محبة الحق مع
 الحليب فصاروا اولئك الابطال الذين تفاخر بهم امهم وبلادهم . ولذا فان
 الكنيسة ام القديسين ، ولنا في هذا الوطن العزيز مثال قريب في شهداء دمشق
 الفرنسيين والمساكين . وما هؤلاء الابطال سوى جنود مملكة المسيح
 يدافعون عن شرف ملكهم ، ويسعون لبسط ملكه على المسكونة . وقد تبسط
 في شرح هذه الحقائق السيد جيانيني في رسالتين لم ينقضا عما تقدمها بلاغة ،
 وسمو عاطفة ، ودرسخ علم . وآخر ما اتحفنا به صاحب النياقة رسالته في الخبر
 الاعظم ويوبيله الكهنوتي الذهبي ، وواجب الرسالة الملتم بها كل مؤمن وطرق
 الرسالة المتنوعة ، فعلى ابنا الكنيسة الصلاة والاعمال الصالحة وتنشيط الدعوات
 وتسهيل سبلها والتبرع لمساعدة المرسلين ، وعلى المدعوين الى هذا العمل العظيم
 التضحية لنشر ملك المسيح والتبشير بالإنجيل خلاصاً للامم . تلك امينة الخبر
 الاعظم ، والسعي الى تحقيقها خير ما نكرم به ابا المؤمنين في سنة يوبيله .
 احدى وعشرون رسالة جمعت شتى الفوائد تولى كتاباً جزيلاً القدر بطالعه
 بلذة ومنفعة الكاثوليكي وغير الكاثوليكي . هذا عدا الخطب التي كان
 يلقيها هذا الخبر العلامة في فرص مختلفة فيجمع فيها بين رشاقة التعبير ودقة
 المعاني ومناسبتها للمقام ، حتى انه كان يلقي بلطف وكياسة الامثولات المفيدة
 على سامعيه فيدعومهم الى التفكير والاصلاح .
 توقفت الى جمع هذه النصف من حياة صاحب اليوبيل الجليل فنشرتها تعريفاً
 لقدره ، ليعلم الجميع ما هي منزلة الرجل الخاثر على ثقة الكرسي الرسولي
 واعتباره ، الذي استحق ان يسمع هذه الكلمة من فم رؤسائه : «نشكرك
 لانتك شئت ان تواصل خدمتك للكنيسة في ظروف حرجية ومحن عديدة» .
 امداً الله في اجله ومتعنا طويلاً بانوار تعليمه ، وحفظ للكنيسة هذا الخادم
 الامين الحكيم ، الذي قلده سيده تدير هذا القمم العزيز من بيته ليرشد
 ويصلح ويبرز وينشط ، بعلمه وحزمه ومثله ومحبه .